

# منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره  
ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن  
يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ،  
اصطفاه الله نبيا ورسولا لتبليغ دعوته ونصرة  
دينه، واصطفى معه ثلة من غرباء أول الزمان  
لمواجهة الباطل وحزبه فأبلاوا بلاء حسنا، وكان ﷺ  
قدوة لأصحابه الذين كانوا باتباعهم له قدوة لمن  
بعدهم.

نعم..... هؤلاء هم صحابته الكرام الذين تقرر من  
أصول الدين فيهم رعاية قدرهم والافتداء  
بهديتهم والاستئناس بسنتهم فقد قال رسول الله  
ﷺ في الحديث الصحيح: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ  
الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَصُوا  
عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ  
كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>1</sup>.

فقد أزال الله بهم الجاهلية الأولى، ومكنهم  
في أرضه فملؤوها عدلا ونورا بعد أن ملئت ظلما  
وجورا، فاستحقوا مدح ربهم وثناؤه وجزاءه

---

<sup>1</sup> رواه أبو داود برقم ( 4604 )، والترمذي برقم ( 2663 )، وغيرهم، في حديث طويل عن العرياض بن سارية.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

فَقَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ  
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ  
تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ).<sup>2</sup>

فما تقرر في الشريعة أن السبيل للتمكين  
لهذا الدين لا يتم إلا بابتلاء الله لعباده المؤمنين  
لذا فقد كان النبي ﷺ يبين دائما لأتباعه أن سنة  
الله تعالى لم تنته، وبين وعورة الطريق وغبابة  
الدين مرة أخرى وغبابة أتباعه الذين سيحملون  
الأمانة من بعد، وتلك من علامات نبوته ﷺ، فيقول  
ﷺ: (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا  
فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ).<sup>3</sup>

وللكلام عن الغرباء ومنهجهم في مواجهة  
الجاهلية فإننا سنحاول بمشيئة الله تعالى  
وعونه أن نسلط الضوء عليهم من عدة أوجه في  
خمسة فصول :

### الفصل الأول:

---

<sup>2</sup> سورة التوبة: 100  
<sup>3</sup> أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب بدأ الإسلام غريبا، حديث رقم:  
4034، وأخرج مسلم مثله ج1/130 بلفظ: (بدأ الإسلام غريبا  
وسيعود غريبا كما بدأ).

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

تشابه الغرباء قديما وحديثا وطبيعة عزائمهم  
ونفوسهم الصادقة.

### الفصل الثاني:

طبيعة وأوجه الشبه بين الجاهلية التي  
يواجهونها في كل عصر.

### الفصل الثالث:

تشابه المؤمنين الغرباء في البلاء الذي يواجهونه  
والتجارب المستفادة أثناء المسير.

### الفصل الرابع:

إثبات أن البلاء سنة ربانية ملازمة لأهل الحق  
الغرباء, وأن البلاء إنما هو دليل صحة على السير  
في طريق مواجهة الباطل, وضرورة العلم  
بطبيعة ووعورة الطريق لبناء المجتمع المسلم.

### الفصل الخامس:

البشرى والجزاء الذي أعده الله لأهل الإيمان  
الغرباء.

وسيكون دائما دائما الاستفادة من سنة النبي ﷺ  
اتباعا وتنزيلا على واقعنا الذي نعيشه فنسجل

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

النقاط الهامة في كيفية التعاطي مع هذا الواقع  
تأصيلاً على سنته ﷺ .  
والله نسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول  
والعمل.

المؤلف

### الفصل الأول

#### معالم طائفة الغرباء المنصورة

قد يتساءل البعض ما هي أهم معالم وصفات  
الطائفة الغربية بدينها عن هذه المجتمعات  
الجاهلية....

#### 1- الغرباء هم النزاع من القبائل :

يذكر الإمام أحمد في مسنده وفي سنن ابن  
ماجة: (( عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا  
وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ قِيلَ وَمَنْ  
الْغُرَبَاءُ قَالَ النَّزَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ ))<sup>4</sup> . ....

<sup>4</sup> مسند أحمد - حديث رقم (3596)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

والنزاع جمع النازع وهو الغريب.

وذكر الطبراني في معجمه: ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"، قُلْنَا: وَمَا الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: "قَوْمٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسِ سَنُوْءٍ كَثِيْرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ)).<sup>5</sup>

قال صاحب معاني الأخبار:

((وقال ﷺ: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء» ، قيل : وما الغرباء ؟ قال : « النزاع من القبائل » فإذا صار الأمر إلى هذا ، كان المؤمن فيهم كالمؤمن في وقت النبي ﷺ ، فإن النازع من القبيلة مهاجر مفارق أهله وماله ووطنه ، مؤمن بالله مصدق به وبرسوله ، والله عز وجل مدح المؤمنين بإيمانهم بالغيب ، فقال يؤمنون بالغيب))<sup>6</sup>أهـ.

2- اشتراكهم في الغربة والتمسك بالدين وهدى السلف الصالح:

قال البغوي: قوله تعالى: { وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً } أي: عصابة، { يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، وهم

<sup>5</sup> المعجم الكبير للطبراني - حديث رقم (1457)  
<sup>6</sup> بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلازدي - شرح الحديث رقم (336)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

المهاجرون والتابعون لهم بإحسان. وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: "هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها، ((ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)) وقال معاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك" ((أه<sup>7</sup>

وقال ابن حجر في الفتح: ((روى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة قال: "قال أبو عبيدة: يا رسول الله، أحد خير منا؟ أسلمنا معك، وجاهدنا معك. قال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني" وإسناده حسن وقد صححه الحاكم. واحتج بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم، قال: فكذاك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن كانوا أيضا عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك. ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه ((بدأ الإسلام

<sup>7</sup> تفسير البغوي - (ج 3 / ص 308)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء))<sup>8</sup>  
3- طائفة غالبة منصوره من شرطها القتال

وعدم الزوال:

فقد وصفهم النبي ﷺ بذلك في كثير من الأحاديث الشريفة منها:

مارواه الإمام أحمد: ((عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ))<sup>9</sup>

وروى مسلم: ((عَنْ نُوَيَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ))<sup>10</sup>

وأبضا: ((عن جابر بن عبد الله قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول لَا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَى صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنْ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ))<sup>11</sup>

<sup>8</sup> فتح الباري لابن حجر - شرح الحديث رقم (3377)

<sup>9</sup> مسند أحمد - 19073

<sup>10</sup> صحيح مسلم - حديث رقم 3544

<sup>11</sup> صحيح مسلم - رقم 225

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

وقال ابن أبي حاتم: ((حدثنا شيبان ، عن قتادة : ( قل إن هدى الله هو الهدى ) قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : لا تزال طائفة من أمتي يقتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله)).<sup>12</sup>  
(قال ابن أبي حاتم ظاهرين: أي غالبين منتصرين).

فهذه الأحاديث تدل على أنّ طائفة الغرباء المنصورة التي مدحها رسول الله ﷺ من معالمها وصفاتها :

أ- من شرطها القتال في سبيل الله لإظهار الدين بدليل قوله ﷺ (يقاتلون) كما في الروايات المذكورة، وفي رواية: ( ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ تَأَوَّاهُمْ ) قال النووي: " أَي : عَادَاهُمْ ، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنْ تَأَى إِلَيْهِمْ وَتَأَوَّأَ إِلَيْهِ ، أَي تَهَضُّوا لِلْقِتَالِ " اهـ.<sup>13</sup>

ب- وهي طائفة قائمة لم تنقطع ولن تنقطع أبداً بدليل قوله ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي...) .  
ج- وهي قائمة على الحق ومعناه إتباع السلف الصالح، تهتدي بهدي الكتاب والسنة.  
د- وهي طائفة غالبية منصوره.

<sup>12</sup> تفسير ابن أبي حاتم - (ج 1 / ص 317)  
<sup>13</sup> شرح النووي على مسلم - شرح حديث رقم (3543)



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

ويتبين لنا هنا أن هذه الطائفة غالبية منصوره وهي طائفة مقاتلة ومهتديه بهدي الكتاب والسنة وغير منقطعة ولا يكفي لأي طائفة أن تدعي أنها الطائفة المنصورة لقيامها بأعمال البر المختلفة دون الالتزام بإقامة فريضة الجهاد والقتال في سبيل الله، فانتبه لذلك.

**4- قوة عزائمهم وصدق نفوسهم ووفائهم بعهدهم :**

وفي مقابلة الجاهلية التي ذكرنا طرفا من أرجاسها نجد أهل الإيمان الغرباء الذين لا يألون جهدا في نصره دينهم والذود عنه صابرين محتسبين موفين بعهدهم مع ربهم:

قال تعالى: { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَصَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا } سورة الأحزاب 23 ((أي من المؤمنين رجال أوفوا بعهدهم مع الله تعالى، وصبروا على البأساء والضراء وحين البأس: فمنهم من وفى بنذره، فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء، ومنهم من ينتظر إحدى الحسينيين: النصر أو الشهادة، وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدلوه، كما

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

غَيَّرَ الْمَنَافِقُونَ)) أَه. 14

وهم في ذلك يعلمون أنهم غرباء بدينهم وفي مجتمعاتهم وبين أهليهم وأنهم بإذن الله منصورون لا يضرهم من خالفهم ولو تكاثروا عليهم فالنبي ﷺ سماهم "غرباء" و"طائفة" وهذا كله يعني القلة، قال النووي : ((قال القاضي : وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ في أحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في أحاد وقلة أيضا كما بدأ)) 15.

فما داموا على أمر الله قائمين يدورون مع الكتاب حيث دار فنصرهم على عدوهم سيكون بتوكلهم على ربهم وصدقهم في إيمانهم به سبحانه وثباتهم على أمره لا يضرهم قلة نصير أو نقص في عتاد.

ففي الحديث: ((عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ وَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ)) 16.

14 التفسير الميسر (ألفه نخبة من العلماء) - (ج 7 / ص 333)

15 شرح النووي على مسلم - شرح حديث رقم (209)

16 صحيح مسلم - (3542)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

يقول بن القيم: ((قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين { [ التوبة 119 ] . وقد قسم سبحانه الخلق إلى قسمين سعداء وأشقياء فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب وهو تقسيم حاصر مطرد منعكس . فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق , والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب , وأخير سبحانه وتعالى : أنه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صدقهم . وجعل علم المنافقين الذي تميزوا به هو الكذب في أقوالهم وأفعالهم فجميع ما نعاه عليهم أصله الكذب في القول والفعل فالصدق يريد الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه بل هو لبه وروحه . والكذب يريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ولبه فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرده أحدهما صاحبه ويستقر موضعه))<sup>17</sup> أهـ

وإيمانهم بنصر ربهم أقوى مما يلاقونه من عنت طواغيت الأرض وأرسخ من الجبال وهم

<sup>17</sup> زاد المعاد - (ج 3 / ص 511)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

يَقْرَءُونَ فِي كِتَابِ رَبِّهِمْ : { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ  
يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي  
الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا  
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }  
[الحج/40، 41] ، وهم يعلمون تماما أن الأيام  
دول وأن ليل الجاهلية لن يبقى طويلا {وتلك  
الأيام نداولها بين الناس}، وأن عِزَّ أجدادهم  
الذين ملؤوا الأرض عدلا ونورا لهو قادم لا محالة  
بما بشرنا به نبينا ﷺ ولكن سنة الله في خلقه  
ماضية إلى حيث أراد الله لها وإلى ما شاء الله  
لها أن تدوم، يملاً ذلك الإيمان قلوبهم ولسان  
حال شاعرهم يقول:

ملكنا أقاليم البلاد فأدعنت ..... لنا رغبة أو  
رهبة عظماؤها  
فلما انتهت أيامنا علقت بنا ..... شدائد أيام  
قليل رضاؤها  
وصرنا نلاقي النائبات بأوجه..... رفاق الحواشي  
كاد يقطر ماؤها  
إذا ما هممنا أن نبوح بما جنت..... علينا الليالي  
لم يدعنا حياؤها

\*\*\*\*\*

### الفصل الثاني

طبيعة وأوجه الشبه بين الجاهلية التي  
يواجهونها في كل عصر

يتخيل البعض أن الجاهلية هي الحقبة والتاريخ الذي كان قبل الإسلام فحسب وغاب عن أذهانهم أن خواء القلوب من العقيدة الصحيحة وغياب الشريعة الإلهية التي تحكم المجتمعات الإنسانية إنما هي الجاهلية بعينها بغض النظر عن الزمان والمكان التي تتواجد فيه، فالجاهلية هي الجاهلية.

قال الشوكاني: (( أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس؛ أن عمر بن الخطاب سأله، فقال : رأيت قول الله

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

لأزواج النبي ﷺ: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } هل كانت جاهلية غير واحدة، فقال ابن عباس: ما سمعت بأولى إلا ولها آخرة (( أهـ<sup>18</sup>

أما عن الجاهلية المعاصرة فخير من يفضح أمرها ويكشف زيفها وضلالها هو الشيخ سيد قطب نسأل الله أن يتقبله في الشهداء.

يقول الشيخ سيد قطب - رحمه الله - عن الجاهلية المعاصرة:

(( إن خير ما نصف به الجاهلية الأولى ما وصفها به جعفر بن أبي طالب ﷺ وهو يحدث نجاشي الحبشة في مواجهة رسولي قريش إليه، يقول جعفر في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام وننسيء الجوار وبأكل القوي منا الضعيف) .....ومن الآثار التي تصف لنا الحال الاجتماعي للجاهلية الأولى هو حديث السيدة عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري والتي تصف فيه حال النكاح في الجاهلية على أنه أربعة أنحاء: فَقَدْ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّكَاحَ

<sup>18</sup> فتح القدير للشوكاني (الأحزاب 33)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ.....-إلى أن  
قالت- فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ  
الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمِ))..... ثم  
يستطرد رحمه الله فيقول (( إن الجاهلية هي  
الجاهلية ولكل جاهلية أرجاسها وأدناسها لا يهم  
موقعها في الزمان والمكان، فحيثما خلت قلوب  
الناس من عقيدة إلهية تحكم تصوراتهم ومن  
شريعة - منبثقة من هذه العقيدة - تحكم حياتهم  
فلن تكون إلا الجاهلية في صورة من صورها  
الكثيرة، والجاهلية التي تتمرغ البشرية اليوم  
في وحلها لا تختلف في طبيعتها عن تلك  
الجاهلية العربية أو غيرها من الجاهليات التي  
عاصرتها في أنحاء الأرض، حتى أنقذها منها  
الإسلام وطهرها وزكّاها، إن البشرية اليوم  
تعيش في ماخور كبير!، ونظرة إلى صحافتها  
وأفلامها ومعارض أزيائها ومسابقات جمالها  
ومراقصها وحاناتها وإذاعاتها ونظرة إلى  
سعارها المجنون للحم العاري والأوضاع المثيرة  
والإيحاءات المريضة في الأدب والغن وأجهزة  
الإعلام كلها، إلى جانب نظامها الربوي وما يكن  
وراءه من سعار للمال ووسائل خسيصة لجمعه  
وتثميته وعمليات نصب واحتيال وابتزاز تلبس  
ثوب القانون وإلى جانب التدهور الخلقي

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

والانحلال الاجتماعي الذي أصبح يهدد كل نفس وكل بيت وكل نظام وكل تجمع إنساني، نظرة إلى هذا كله تكفي للحكم على المصير البائس الذي تدلف إليه البشرية في ظل هذه الجاهلية.<sup>19</sup>

### بيان القراءان للجاهلية :

وقد بين لنا القرآن الكريم أن الجاهلية تقوم على أربعة أسس وهي:

حكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وتبرج الجاهلية، وحمية الجاهلية .

### 1- حكم الجاهلية:

هو المتمثل في القوانين الوضعية المفروضة على الناس قسراً من قبل حكامهم، هذه القوانين التي تصادم أحكام الإسلام في الأصول والفروع، وقد صورها الشيخ أحمد شاکر الله أبین تصوير حيث قال عنها:

" فانظروا أيها المسلمون، في جميع البلاد الإسلامية أو البلاد التي تنتسب للإسلام في أقطار الأرض إلى ما صنع بكم أعداؤكم المبشرون والمستعمرون، إذ ضربوا على

---

<sup>19</sup> في ظلال القرآن-. من تفسير سورة آل عمران



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

المسلمين قوانين ضالة مدمرة للأخلاق والآداب والأديان قوانين إفرنجية وثنية، لم تُبن على شريعة ولا دين، بل بنيت على قواعد وضعها رجل كافر وثني أبى أن يؤمن برسول عصره عيسى عليه السلام وأصرَّ على وثنيته، إلى ما كان من فسقه وفجوره وتهتكه! ... إلى أن قال: هذه القوانين التي فرضها على المسلمين أعداء الإسلام السافر هي في حقيقتها دين آخر جعلوه ديناً للمسلمين بدلا من دينهم النقي السامي، لأنهم أوجبوا عليهم طاعتها، وغرسوا في قلوبهم حبها وتقديسها والعصية لها، حتى لقد تجرّ على الألسنة والأقلام كثير من كلمات تقديس القانون وقدسيتها القضاء مثل: حرم المحكمة، وأمثال ذلك من الكلمات التي يابون أن توصف بها الشريعة الإسلامية وآراء الفقهاء الإسلاميين، بل هم حينئذ يصفونها (أي الشريعة الإسلامية) بكلمات الرجعية والجمود والكهنوت وشريعة الغاب، إلى أمثال ما ترى من المنكرات في الصحف والمجلات والكتب العصرية، التي يكتبها أتباع أولئك الوثنيين! ثم صاروا يطلقون على هذه القوانين (التي شرعها البشر من دون الله) ودراساتها كلمة الفقه والفقيه والتشريع والمشرع وما إلى ذلك من الكلمات التي يطلقها

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

علماء الإسلام على الشريعة وعلماؤها،  
وينحدرون فيتجرءون على الموازنة بين دين  
الإسلام وشريعته وبين دينهم المفقري الجديد  
..... إلى أن قال الشيخ أحمد شاکر رحمہ اللہ:  
«وصار هذا الدين الجديد هو القواعد الأساسية  
التي يتحاكم إليها المسلمون في أكثر بلاد  
الإسلام ويحكمون بها، سواء منها ما وافق في  
بعض أحكامه شيئاً من أحكام الشريعة وما  
خالفها، وكله باطل وخروج، لأن ما وافق  
الشريعة إنما وافقها مصادفة لا إتباعاً لها، ولا  
طاعة لأمر الله وأمر رسوله، فالموافق  
والمخالف كلاهما مرتكس في حمئة الضلالة،  
يقود صاحبه إلى النار لا يجوز لمسلم أن يخضع  
له أو يرضى به»<sup>20</sup> اهـ.

يقول ابن القيم في نونيته :

قد أقسم الله العظيم بنفسه.....قسما بين

حقيقة الإيمان

أن ليس يؤمن من يكون محكما ..... غير الرسول

الواضح البرهان

بل ليس يؤمن غير من قد حكم..... الوحيين

حسب فذاك ذو إيمان

<sup>20</sup> عمدة التفسير مختصر تفسير ابن كثير لأحمد شاکر، ج3/214 -  
215.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

هذا وما ذلك المحكم مؤمنا..... إن كان ذا حرج  
وضيق بطان  
هذا وليس بمؤمن حتى يسلم .....للذي يقضي  
به الوحيان<sup>21</sup>

### 2- ظن الجاهلية:

قال أبو حيان محمد بن حبان في تفسير قوله  
تعالى (( يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ))  
ومعنى (ظن الجاهلية عند الجمهور) : المدة  
الجاهلية القديمة قبل الإسلام ، كما قال :  
{ حمية الجاهلية } { ولا تبرجن تبرج الجاهلية }  
وكما تقول: شعر الجاهلية . قال مقاتل: ظنوا  
أن أمره مضمحل. وقال الزجاج: إن مدته قد  
انقضت. وقال الضحاك عن ابن عباس: ظنوا أن  
محمدًا قد قتل. وقيل: ظن الجاهلية إبطال  
النبؤات والشرائع. وقيل: بأسهم من نصر الله  
وشكهم في سابق وعده بالنصرة. وقيل:  
يظنون أن الحق ما عليه الكفار، فلذلك نصروا.  
وقيل: كذبوا بالقدر. انتهى<sup>22</sup>  
يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في  
معنى [ ظن الجاهلية ]: إنه تداركهم سبحانه

<sup>21</sup> يشير إلى قوله تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا  
شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا  
تَسْلِيمًا (65) [النساء/65]

<sup>22</sup> تفسير البحر المحیط لابن حبان .

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

برحمته وخفف عنهم ذلك الغم وغيبه عنهم  
بالنعاس الذي أنزله عليهم أمنا منه ورحمة  
والنعاس في الحرب علامة النصر والأمن كما  
أنزله عليهم يوم بدر وأخبر أن من لم يصبه ذلك  
النعاس فهو ممن أهمته نفسه لا دينه ولا نبيه  
ولا أصحابه وأنهم يظنون بالله غير الحق ظن  
الجاهلية وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله  
بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل  
وأنه يسلمه للقتل وقد فسر بظنهم أن ما  
أصابهم لم يكن بقضائه وقدره ولا حكمة له فيه  
ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم  
أمر رسوله ويظهره على الدين كله وهذا هو ظن  
السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون به  
سبحانه وتعالى في ( سورة الفتح حيث يقول  
{ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين  
والمشركات الطائنين بالله ظن السوء عليهم  
دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد  
لهم جهنم وساءت مصيرا } [ الفتح 6 ] وإنما  
كان هذا ظن السوء وظن الجاهلية المنسوب  
إلى أهل الجهل وظن غير الحق لأنه ظن غير ما  
يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته  
المبرأة من كل عيب وسوء بخلاف ما يليق  
بحكمته وحمده وتفردته بالربوبية والإلهية وما

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

يليق بوعد الصادق الذي لا يخلفه وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم ولجنده بأنهم هم الغالبون فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حربه ويعليهم ويظفرهم بأعدائه ويظهرهم عليهم وأنه لا ينصر دينه وكتابه وأنه يديل الشرك على التوحيد والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا فقد ظن بالله ظن السوء ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تآبى ذلك، وتآبى أن يذل حربه وجنده وأن تكون النصره المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء، ومن جوز عليه أن يعذب أوليائه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أن له ولدا أو شريكا أو أن أحدا يشفع عنده بدون

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

إذنه أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون  
حوائجهم إليه أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه  
يتقربون بهم إليه ويتوسلون بهم إليه  
ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم  
ويحبونهم كحبه ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن  
به أقبح الظن وأسوأه... ومن ظن به أنه يسلط  
على رسوله محمد ﷺ أعداءه تسليطا مستقرا  
دائما في حياته وفي مماته وابتلاه بهم لا  
يفارقونه فلما مات استبدوا بالأمر دون وصية  
وظلموا أهل بيته وسلبوهم حقهم وأذلوهم  
وكانت العزة والغلبة والقهر لأعدائه وأعدائهم  
دائما من غير جرم ولا ذنب لأوليائه وأهل الحق  
وهو يرى قهرهم لهم وغصبتهم إياهم حقهم  
وتبديلهم دين نبيهم وهو يقدر على نصره أوليائه  
وحزبه وجنده ولا ينصرهم ولا يديلهم بل يديل  
أعداءهم عليهم أبدا أو أنه لا يقدر على ذلك بل  
حصل هذا بغير قدرته ولا مشيئته ثم جعل  
المبدلين لدينه مضاجعيه في حفرته تسلم أمته  
عليه وعليهم كل وقت كما تظنه الرافضة فقد  
ظن به أقبح الظن وأسوأه، سواء قالوا: إنه قادر  
على أن ينصرهم ويجعل لهم الدولة والظفر أو  
أنه غير قادر على ذلك فهم فادحون في قدرته  
أو في حكمته وحمده وذلك من ظن السوء به،

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

ولا ريب أن الرب الذي فعل هذا بغيض إلى من ظن به وكان الواجب أن يفعل خلاف ذلك لكن رفوا هذا الظن الفاسد بخرق أعظم منه واستجاروا من الرمضاء بالنار فقالوا: لم يكن هذا بمشيئة الله ولا له قدرة على دفعه ونصر أوليائه فإنه لا يقدر على أفعال عباده ولا هي داخلة تحت قدرته فظنوا به ظن إخوانهم المجوس والثنوية بربهم وكل مبطل وكافر ومبتدع مقهور مستذل فهو يظن بربه هذا <sup>23</sup>الظن) انتهى.

**3- تبرج الجاهلية:**

فهو مثال للنظام الاجتماعي الفاسد والمستنقع الآسن الذي يعيش فيه أهل الجاهلية.

قال بن الجوزي: (( في صفة تبرُّج الجاهلية الأولى ستة أقوال:

أحدها: أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال, فهو التبرج, قاله مجاهد.  
والثاني: أنها مشية فيها تكسُّر وتعجُّج , قاله قتادة.

---

<sup>23</sup> زاد المعاد (ج 3\_ ص 204 إلى ص 211) بتصرف.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

والثالث: أنه التبخر، قاله ابن أبي نجيح،  
والرابع: إن المرأة منهن كانت تتخذ الدُّرْع من  
اللؤلؤ فتلبسُه ثم تمشي وسط الطريق ليس  
عليها غيره، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام،  
قاله الكلبي.

والخامس: أنها كانت تُلقى الخمار عن رأسها ولا  
تشدُّه، فيرى فُزطها وقلاندها، قاله مقاتل.

والسادس: أنها كانت تلبس الثياب تبلغ المال، لا  
تواري جسدها، حكاها الفراء ((أهـ<sup>24</sup>.

ولا نرى ما قاله التابعين في ذلك إلا غيضا من  
فيض ما نراه اليوم في الطرقات والأسواق  
والمحال والمتاجر أو في وسائل النقل والإعلام  
مسموعة كانت أم مرئية، بل ومقننة بقوانين  
تشجع على تلك الفواحش والرذائل، فضلا عن  
محاربة العقيقات الطاهرات والسخرية  
والاستهزاء بحجابهن ووصفه بأوصاف التخلف  
والرجعية وعلى النقيض يصفون الكاسيات  
العاريات بأوصاف التقدم والرقي، ولله در من  
قال:

إذا كان ترك الدين يعني تقدما.....فيا نفس

<sup>24</sup> زاد المسير لابن الجوزي في تفسير الآية (ولا تترجن....).



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

موتي قبل أن تتقدمي

### 4- حمية الجاهلية:

فهي تلك العقيدة القومية التي تسود العالم اليوم والتي تقوم عليها مظاهر الولاء والبراء، والتي تقسم الناس على أساس المواطنة والعرق لا على أساس الديانة، والتي تقوم على أساسها الحروب وتسفك الدماء، والتي يحاول العلمانيون والقوميون تصويرها على أنها الأساس المتين الذي يحفظ كيان الدول والشعوب.

قال الشيخ سيد في الضلال: ((كانت حمية الجاهلية، ونعرة العصبية. كان التعاون على الإثم والعدوان أقرب وأرجح من التعاون على البر والتقوى؛ وكان الحلف على النصر، في الباطل قبل الحق. ونذر أن قام في الجاهلية حلف للحق، وذلك طبيعي في بيئة لا ترتبط بالله، ولا تستمد تقاليدھا ولا أخلاقھا من منهج الله وميزان الله . . يمثل ذلك كله ذلك المبدأ الجاهلي المشهور: « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .. وهو المبدأ الذي يعبر عنه الشاعر الجاهلي في صورة أخرى ، وهو يقول:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت

غويت، وإن ترشد غزية أرشدا!))

أه<sup>25</sup>

وهذه بلية أصابت الكثير من الناس في تلك المسألة حيث المحبة والبغض والولاء والبراء في القومية أو القبيلة أو اللغة، بل وحاولوا جعلها ميزانا للولاء والبراء وحاولوا إقامة مجتمعات بل وأمم على هذا الأساس كالأمة العربية مثلا، فحاولوا جمع المسلم والمرتد والكافر يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا أو لا دينيا أو حتى عباد الشيطان والأوثان في خليط واحد وتحت راية واحدة جاهلية ليس لله أو لعقيدة الإسلام فيها نصيب، ويجدر بنا أن نعرج على سنة المصطفى ﷺ لتبين كيف واجه النبي ﷺ هذه البلية:

لقد كان رسول الله ﷺ واضحا جليا في هذه المسألة فهناك أمور محسومة لا تقبل التميع أو التجزئة وهكذا كان أتباعه غرباء أول الزمان وهكذا ينبغي أن يكون آخرهم فلا ولاء ولا براء إلا على أسس شرعية متينة، يذكر بن كثير فرقا منها في سيرته: (( مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب: عتبه وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان صخر بن حرب، وأبو البختری العاص

<sup>25</sup> في ظلال القرآن - في تفسير الآية (2) من سورة المائدة.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

بن هشام، والأسود بن المطلب، وأبو جهل عمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج، والعاص بن وائل، قال ابن إسحاق: أو من مشى منهم فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا وسفه أعلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه))<sup>26</sup> أهـ

هكذا كان رسول الله ﷺ مع الجاهلية وأهلها يكشفهم ويتبرأ منهم ولو كانوا من قريش، وهكذا تعلم منه صحابته ﷺ كما في السيرة:

يذكر بن كثير (( كان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال: شد يدك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك.

قال أبو عزيز: فكننت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها فأستحي فأردها

<sup>26</sup> السيرة النبوية لابن كثير - (ج 1 / ص 473)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

فيردها على ما يمسخها ! قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين بيدرب بعد النضر ابن الحارث، ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر، وهو الذي أسره ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي ! فقال له مصعب: إنه أخي دونك.....فسألت أمه عن أعلى ما فدى به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها))<sup>27</sup>أه

وذكر صاحب الروض الأنف: ((وإن كان الإسلام قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم يا لفلان عند التحزب والتعصب وقد سمع رسول الله ﷺ يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وقال آخر يا للأنصار فقال رسول الله ﷺ دعوها فإنها منتنة وقال ﷺ من ادعى بدعوى الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا ونادى رجل النابعة الجعدي بعصبة له فضربه أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - خمسين جلدة وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوة ولا يقال إلا كما قال عمر رضي الله عنه يا لله ويا للمسلمين لأنهم كلهم حزب واحد وإخوة في الدين))<sup>28</sup>أه

<sup>27</sup> (السيرة النبوية لابن كثير - (ج 2 / ص 475)  
<sup>28</sup> الروض الأنف في الكلام على حلف الفضول..وروى قريبا منه البخاري ومسلم والترمذي .

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

قال الماوردي رحمه الله: (( قوله عز وجل: { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ } يعني قريشاً، وفي حمية الجاهلية قولان:

أحدهما: العصبية لألهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ، والأنفة من أن يعبدوا غيرها، قاله ابن بحر.

الثاني: أنفتهم من الإقرار له بالرسالة والاستفتاح بسم الله الرحمن الرحيم على عادته في الفاتحة ، ومنعهم له من دخول مكة ، قاله الزهري.

ويحتمل ثالثاً: هو الاقتداء بأبائهم، وألا يخالفوا لهم عادة، ولا يلتزموا لغيرهم طاعة كما أخبر الله عنهم { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } ((أه<sup>29</sup>.

قال الألوسي رحمه الله:

(( { حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ } يقال: حميت عن كذا حمية إذا أنفت منه وداخلك عار منه ..... وقال الراغب: أي حمية الملة الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية لأنها بغير حجة وفي غير

<sup>29</sup> تفسير النكت والعيون للماوردي في تفسير الآية

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

موضعها<sup>30</sup>

وقال البيضاوي:

{ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةُ { الْأَنْفَعَةُ. { حَمِيَّةٌ  
الجاهلية } التي تمنع إدعان الحق.<sup>31</sup>

\*\*\*\*\*

### الفصل الثالث

تشابه المؤمنين الغرباء في البلاء الذي  
يواجهونه، والتجارب المستفادة أثناء المسير  
أما طريق أهل الإيمان وأصحاب هذه الدعوة  
فهو شائك وهم يعلمون مشقته، والعلم  
الإيماني والنظري شئ ومعايشته شئ آخر، لقد  
تفنن أهل الجاهلية من طواغيت كل عصر في

---

<sup>30</sup> روح المعاني للألوسي - في تفسير الآية 26 من سورة الفتح  
<sup>31</sup> أنوار التنزيل للبيضاوي - في تفسير نفس الآية

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

صب أنواع شتى من البلاء، بل كل أنواع البلاء على هذه الفئة الغربية المؤمنة بين أهل الجاهلية، المعروفة عند أهل الحق في الأرض والسماء، القليلة بعددها، الكثيرة بنصرة ربها، الضعيفة بإمكانات البشر، القوية بإيمانها بربها وبقوته سبحانه وينصره وبما وعدهم، الفقيرة بما عند الناس، الغنية بعزتها بعقيدتها، المقهورة في نظر أهل الدنيا وبحساباتهم، الشامخة المتعالية بدينها الشامخ الحق على أدناس وأرجاس الجاهلية.

- فهم يعلمون أنهم وأهلهم وأولادهم سيواجهون جوعا وخوفا وفقرا وسجنا وتقتيلا، تماما كما لاقى أجدادهم الأول، يعلمون ذلك وهم يقرؤون كتاب ربهم صبح مساء {ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين}.

يقول شيخ المفسرين الإمام بن جرير في تفسير هذه الآية:

((عن ابن عباس قوله ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونحو هذا قال: أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأمرهم بالصبر وبشرهم فقال: وبشر الصابرين

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم فقال {مستهم البأساء والضراء وزلزلوا} ومعنى قوله {ولنبلونكم} ولنتخبرنكم، وقوله {بشئ من الخوف} يعني من الخوف من العدو، وبالجموع وهو القحط يقول: لتخبرنكم بشئ من خوف ينالكم من عدوكم وبسنة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة وتعذر المطالب عليكم فتنقص لذلك أموالكم، وحروب تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار فينقص لها عددكم وموت ذراريكم وأولادكم، وجدوب تحدث فتنقص لها ثماركم، كل ذلك امتحان مني لكم، فنتبين صادقكم في إيمانهم من كاذبكم فيه، ويعرف أهل البصائر في دينهم منكم من أهل النفاق فيه والشك والارتياب، كل ذلك خطاب منه لأتباع رسول الله ﷺ وأصحابه)).

اهـ<sup>32</sup>

ويقول الشيخ سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية:

{ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع...}: ولا بد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد والجوع

<sup>32</sup> جامع البيان، ج 2/56، 57



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

ونقص الأموال والأنفس والثمرات، لابد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى، فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها وكلما بذلوا من أجلها كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها، كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها، إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم: "لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرا مما يتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء ولا صبروا عليه"، وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها مقدرين لها مندفعين إليها، وعندئذ يحيى نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجا، ولابد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومدخور الطاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد، والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

الغيش عن العيون والران عن القلوب ، وأهم من هذا كله أو والقاعدة لهذا كله الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها وتتوارى الأوهام وهي شتى ويخلو القلب إلى الله وحده لا يجد سندا إلا سنده وفي هذه اللحظة فقط تتجلي الغشاوات وتتفتح البصيرة وينجلي الأفق على مد البصر لا شئ إلا الله، لا قوة إلا قوته، لا حول إلا حوله، لا إرادة إلا إرادته، لا ملجأ إلا إليه، وعندئذ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح. اهـ<sup>33</sup>

معايشة الغرباء في مجتمعاتهم بالعزلة والنفي والتشريد:

نعم هكذا يعيش أهل الإيمان في مجتمعاتهم إما معزولين عنها أو منبوذين منها أو مسجونين فيها أو هاربين من بطش أهل الكفر والردة أو منفيين منها بطردهم خارجها وتجريدهم مما يتيح لهم الانتقال والحركة في أرض الله الواسعة، أو بهجرتهم منها، فهم غرباء عن مجتمعاتهم، ومجتمعاتهم غريبة عنهم، بل ويعيشون هذه الغربة بين أقوامهم وعوائلهم، ولربما لا يقبل الوالد ولده أن يجاوره في بيت واحد.

<sup>33</sup> في ظلال القرآن في تفسير الآبة.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

قال أبو الفرج ابن رجب الحنبلي:  
( ( وفي مسند الإمام أحمد " عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجلٍ من أصحابه : يُوشك إن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرّم حرامه ونزل عند منازلّه لا يحور فيكم إلا كما يحور رأس الحمار الميت " , ومثله قول ابن مسعود : يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة . وإنما ذل المؤمن آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد من أهل الشبهات والشهوات ، فكلهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقته لطريقتهم ومقصوده لمقصودهم ومباينته لما هم عليه ) )<sup>34</sup> .  
فأنى لهم الاندماج في مجتمعات جاهلية, خليط متنافر غير قابل للاندماج, لا يقبل أحدهما الآخر, الإيمان و الطهر والعلياء, والجاهلية بكل أرجاسها وأدناسها وانحطاطها.  
يقول صاحب الضلال رحمه الله في قوله تعالى { وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون } :

<sup>34</sup> كشف الكربة في وصف أهل الغربة ص 11

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

((..يا عجباً! أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجاً، ليبقى فيها الملوثون المدينسون؟! ولكن لماذا العجب؟ وماذا تصنع الجاهلية الحديثة؟ أليست تطارد الذين يتطهرون، فلا ينغمسون في الوحل الذي تنغمس فيه مجتمعات الجاهلية - وتسميه تقدمية وتحطيماً للأغلال عن المرأة وغير المرأة - أليست تطاردهم في أرزاقهم وأنفسهم وأموالهم وأفكارهم وتصوراتهم كذلك؛ ولا تطيق أن تراهم يتطهرون؛ لأنها لا تتسع ولا ترحب إلا بالملوثين الدنسين القذرين؟! إنه منطق الجاهلية في كل حين!!<sup>35</sup>

قال بن كثير: ((وقوله تعالى: { إِنَّهُمْ أَتَّسُّ يَتَطَهَّرُونَ } قال قتادة، عابوهم بغير عيب)).<sup>36</sup>  
يقول المناوي: ((..إن الإسلام بدأ) يقال بدأ الشيء يبدو أي ظهر (غريباً) أي في قلة من الناس ثم انتشر (وسيعود) أي وسيلحقه النقص والخلل حتى لا يبقى إلا في قلة (كما بدأ غريباً) هكذا ثبتت هذه اللفظة في رواية، ثم المراد أنه لما بدأ في أول وهلة نهض بإقامته والذب عنه ناس قليلون من أشياع الرسول ونزاع القبائل

<sup>35</sup> في ظلال القرآن - في تفسير الآية  
<sup>36</sup> تفسير ابن كثير - (ج 3 / ص 445)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

فشرذوهم عن البلاد ونفوهم عن عقر الديار،  
يصبح أحدهم معتزلاً مهجوراً ويبيت منبوذاً  
كالغرباء، ثم يعود إلى ما كان عليه لا يكاد يوجد  
من القائمين به إلا الأفراد، ويحتمل أن المماثلة  
بين الحالة الأولى والأخيرة قلة من كانوا  
يتدينون به في الأول وقلة من يعملون به في  
الآخر، ثم إنه أكد ذلك بقوله كما بدأ، ولم يكتف  
بقوله وسيعود غربياً لما في الموصول من  
ملاحظة التهويل، وأراد بالإسلام أهله لدلالة ذكر  
الغرباء بعده، ذكره جمع، وقال الطيبي إما أن  
يستعار الإسلام للمسلمين فالغربة هي القرينة  
فيرجع معنى الوحدة والوحشة إلى نفس  
المسلمين، وإما أن يجري الإسلام على الحقيقة  
فالكلام فيه تشبيه، والوحدة والوحشة باعتبار  
ضعف الإسلام وقلته، فعليه غربياً إما حال أي  
بدأ الإسلام مشابهاً للغريب أو مفعولاً مطلقاً أي  
ظهر ظهور الغريب حين بدأ فريداً وحيداً ثم أتم  
الله نوره فأثبت في الأفاق فبلغ مشارق الأرض  
ومغاربها ثم يعود في آخر الأمر فريداً وحيداً  
شريداً إلى طيبة (فطوى) فعلى من الطيب أي  
فرحة وقرّة عين أو سرور وغبطة أو الجنة أو  
شجرة في الجنة (للغرباء) أي المسلمين  
التمسكين بحبله المتشبهين بذيله الذين كانوا

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

في أول الإسلام ويكونون في آخره ، وإنما خصهم بها لصبرهم على أذى الكفار أولاً وأخراً ولزومهم دين الإسلام ذكره ابن الأثير وزاد الترمذي بعد الغرباء (الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي) وفي خبر آخر قيل من الغرباء قال النزاع من القبائل أي الذين نزعوا عن أهلهم وعشيرتهم.<sup>37</sup>

### تربص الكفار من اليهود والنصارى بهم:

يحدثنا التاريخ القديم والحديث عن مكائد اليهود والنصارى للإسلام وأهله، فقد كان اليهود والنصارى حانقون على النبي ﷺ ويصدون عن دعوته : قال بن كثير في قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبُغُوهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)). هذا تعنيف من الله تعالى لكفرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصدّهم عن سبيله مَنْ أَرَادَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِجَهْدِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَن مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى))<sup>38</sup> أھـ

وكم تربصوا بهم، فحاولوا قتل النبي ﷺ ووضعوا

<sup>37</sup> فيض القدير للمناوي - (ج 2 / ص 407)

<sup>38</sup> تفسير ابن كثير - (ج 2 / ص 85)

له السم في الشاة ليقتلوه.  
 ففي الحديث الصحيح: ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ:  
 لَمَّا فَتِحَتْ حَبِيرٌ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا  
 سَمٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا  
 مِنَ الْيَهُودِ فَجَمِعُوا لَهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي  
 سَأَيْلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ فَقَالُوا  
 نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ  
 أَبُوكُمْ قَالُوا أَبُوْنَا فُلَانٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَبْتُمْ  
 بِلِ أَبِيكُمْ فُلَانٌ فَقَالُوا صَدَقْتَ وَبِرَّتْ فَقَالَ هَلْ  
 أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ فَقَالُوا  
 نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذَبْنَا كَمَا  
 عَرَفْتَهُ فِي أَبِيْنَا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَهْلُ  
 النَّارِ فَقَالُوا نَكُونُ فِيهَا بَيْسِيرًا ثُمَّ تَخَلُّوْنَا فِيهَا  
 فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنُوا فِيهَا وَاللَّهِ لَا  
 نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي  
 عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ قَالُوا نَعَمْ فَقَالَ هَلْ  
 جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالَ مَا  
 حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا  
 نَسْتَرِيحُ مِنْكَ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ))<sup>39</sup>.

نعم نقول ذلك ونبين للذين صورت لهم وسائل  
 الدعاية اليهودية الصليبية والطاغوتية المختلفة

<sup>39</sup> صحيح البخاري - حديث رقم 2933

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

أنه من الممكن أن نلتقي مع اليهود والصلبيين في منتصف الطريق فنأمن جانبهم أو أن نعقد معهم عهداً أو صلحاً على حساب مقدساتنا وهم الذين أخلفوا ميثاقهم مع الله تحت الجبل ، ونبذوا عهودهم مع أنبيائهم من بعد، كما نبذوها مع النبي ﷺ بل هم الذين شنوا حملاتهم الصليبية ضد بلاد المسلمين عبر التاريخ واحتلوا بلادنا ومقدساتنا وحسنوا دين الكفار على دين الإسلام فكيف بحكومات بلاد المسلمين المرتدة التي اتخذتهم أولياء وأقامت علاقات طبيعية معهم بل وأبرمت اتفاقيات تحالف معهم فسموا أي اليهود والنصارى بالحليف الأكبر مرة والحليف الاستراتيجي مرة أخرى فلم يكن من بد للغرباء إلا مواجهة كل هؤلاء الأعداء الذين وضعوا أنفسهم في خندق واحد.

قال صاحب الظلال: ((أهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين: { هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً } . وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألّبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة، وكانوا لهم درعاً ورداءً. وأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شردوا العرب



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

المسلمين في فلسطين ، وأحلوا اليهود محلهم، متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية! وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان...في الحبشة والصومال وارتيريا والجزائر، ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية....ثم يظهر بيننا من يظن - في بعد كامل عن تقارير القرآن الجازمة - أنه يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر....إن هؤلاء لا يقرؤون القرآن، وإذا قرأوه اختلطت عليهم دعوة السماحة التي هي طابع الإسلام؛ فظنوها دعوة الولاء الذي يحذر منه القرآن....إن هؤلاء لا يعيش الإسلام في حسهم، لا بوصفه عقيدة لا يقبل الله من الناس غيرها، ولا بوصفه حركة إيجابية تستهدف إنشاء واقع جديد في الأرض؛ تقف في وجه عداوات أهل الكتاب اليوم، كما وقفت له بالأمس...! وندع هؤلاء في إغفالهم أو غفلتهم عن التوجيه القرآني، لنعي نحن هذا التوجيه القرآني الصريح: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . . بعضهم أولياء بعض . . ومن يتولهم منكم فإنه منهم. إن الله لا يهدي القوم الظالمين }....هذا النداء موجه إلى الجماعة المسلمة في المدينة - ولكنه في الوقت ذاته

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

موجه لكل جماعة مسلمة تقوم في أي ركن من أركان الأرض إلى يوم القيامة . . موجه لكل من ينطبق عليه ذات يوم صفة: {الذين آمنوا}....ولقد كانت المناسبة الحاضرة إذ ذاك لتوجيه هذا النداء للذين آمنوا ، أن المفاصلة لم تكن كاملة ولا حاسمة بين بعض المسلمين في المدينة وبعض أهل الكتاب - وبخاصة اليهود - فقد كانت هناك علاقات ولاء وحلف ، وعلاقات اقتصاد وتعامل ، وعلاقات جيرة وصحية.....ونزل القرآن ليبيث الوعي اللازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته ، لتحقيق منهجه الجديد في واقع الحياة. ولينشئ في ضمير المسلم تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة ولا يقف تحت رايتها الخاصة، المفاصلة التي لا تنهي السماحة الخلقية، فهذه صفة المسلم دائماً، ولكنها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا لله ورسوله والذين آمنوا . . الوعي والمفاصلة اللذان لا بد منهما للمسلم في كل أرض وفي كل جيل.....{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . . بعضهم أولياء بعض. ومن يتولهم منكم فإنه منهم. إن الله لا يهدي القوم الظالمين } .

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

بعضهم أولياء بعض . . إنها حقيقة لا علاقة لها بالزمن . . لأنها حقيقة تابعة من طبيعة الأشياء .  
إنهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة في أي أرض ولا في أي تاريخ . . وقد مضت القرون تلو القرون ترسم مصداق هذه القولة الصادقة . .  
لقد ولي بعضهم بعضاً في حرب محمد ﷺ  
والجماعة المسلمة في المدينة. وولي بعضهم بعضاً في كل فجاج الأرض ، على مدار التاريخ . .  
ولم تختل هذه القاعدة مرة واحدة؛ ولم يقع في هذه الأرض إلا ما قرره القرآن الكريم، في صيغة الوصف الدائم، لا الحادث المفرد . . واختيار الجملة الاسمية على هذا النحو . . بعضهم أولياء بعض . . ليست مجرد تعبير! إنما هي اختيار مقصود للدلالة على الوصف الدائم الأصيل!... ثم رتب على هذه الحقيقة الأساسية نتائجها . . فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم، والفرد الذي يتولاهم من الصف المسلم ، يخلع نفسه من الصف ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف « الإسلام » وينضم إلى الصف الآخر، وكان ظالماً لنفسه ولدين الله وللجماعة المسلمة . . وبسبب من ظلمه هذا يدخله الله في زمرة اليهود والنصارى الذين أعطاهم ولاءه. ولا يهديه إلى الحق ولا يرده إلى

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

الصف المسلم : { إن الله لا يهدي القوم  
الظالمين } .... فما يمكن أن يمنح المسلم ولاءه  
لليهود والنصارى - وبعضهم أولياء بعض - ثم  
يبقى له إسلامه وإيمانه ، وتبقى له عضويته في  
الصف المسلم، الذين يتولى الله ورسوله والذين  
آمنوا . . فهذا مفرق الطريق.. (ثم يستطرد  
رحمه الله)..إن الذين يحاولون تمييع هذه  
المفاصلة الحاسمة باسم التسامح والتقريب بين  
أهل الأديان السماوية يخطئون فهم معنى  
الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح فالدين  
هو الدين الأخير وحده عند الله والتسامح يكون  
في المعاملات الشخصية لا في التصور  
الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي إنهم  
يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم  
بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام وبأن عليه أن  
يحقق منهج الله الممثل في الإسلام ولا يقبل  
دونه بديلا ; ولا يقبل فيه تعديلا ولو طفيفا)).<sup>40</sup>  
وعندما بدأت الصحوة الإسلامية في الظهور أثناء  
القرن الماضي وقفوا ضدها بكل ما يملكون  
فأعانوا الحكام المرتدين لبلاد المسلمين

<sup>40</sup> في ظلال القرآن - تفسير سورة المائدة آية 51

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

ودعموهم ماليا وعسكريا وسياسيا ضد أهل الإيمان حتى لا يبقى من يقف ضد مخططاتهم وأطماعهم في بلاد المسلمين، وابتزوا كل مقدرات الأمة من خيرات وموارد طبيعية بمعونة وكلائهم في بلادنا... كما شملت حربهم على الأمة الإسلامية الجانب العقدي الفكري لإبعاد المسلمين عن دينهم فها هو البرنامج الأمريكي الصليبي بداية هذا القرن، حول الشرق الأوسط الكبير ثم الجديد تطورا عن الكبير، وتعيدهم على عقائد المسلمين بمحاولة تغيير مناهجهم التعليمية والدينية ليخرجوا نشنا مسخا، وغيرها من برامج حرب الأفكار.. وما هي في الواقع إلا تطبيقا مكررا واستمرارا للحروب الصليبية التي ما فتئت تخمد نيرانها بالأمس القريب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وقد نبأنا الله تعالى في قرآنه بحدوث هذا البلاء فقال تعالى: ((لَيَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَتْوَا الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) آل عمران 186. يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: ((إنها سنة العقائد والدعوات، لا بد من بلاء ولا بد من أذى في الأموال والأنفس ولا بد من

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

صبر ومقاومة واعتزام، إنه الطريق إلى الجنة، وقد حفت الجنة بالمكاره بينما حفت النار بالشهوات، ولقد حفلت السورة بصور من مكايد أهل الكتاب والمشركين، وصور من دعاياتهم للبلبله والتشكيك أحيانا في أصول الدعوة وحقيقتها وأحيانا في أصحابها وقيادتها وهذه الصور تتجدد مع الزمان وتتنوع بابتداع وسائل الدعاية الجديدة)).<sup>41</sup>

وذكر الإمام الطبري رحمه الله هذا المعنى فقال: (( يعني بذلك تعالى ذكره {تلبون في أموالكم} لتختبرن بالمصائب في أموالكم وأنفسكم، يعني بهلاك الأقرباء والعشائر من أهل نصرتكم وملئكم، {ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم} يعني من اليهود قولهم {إن الله فقير ونحن أغنياء} وقولهم {يد الله مغلولة} وما أشبه ذلك من افتراءهم على الله {ومن الذين أشركوا} يعني النصارى)).<sup>42</sup>

وعلى ذلك فليس غريبا علينا أن نسمعهم وهم يفترون على الله ورسوله أمثال ما سمعنا ورأينا من افتراءات واستهزاء بالله وآياته ورسوله في بعض دول الكفر من حين إلى آخر، وليعلم أهل

<sup>41</sup> في ظلال القرآن - آل عمران آية 180

<sup>42</sup> تفسير الطبري، ج 3/266.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

الإيمان أن هذا أيضا نوع آخر من أنواع البلاء الذي يواجهونه أثناء مسيرتهم.

والخلاصة نقولها للمتخادلين المتنازلين الذين ينزلون كل يوم دركة ويحاولون أن يلتقوا مع أعداء الله ورسوله ذلك أن عداوة اليهود والنصارى لأهل الإسلام ليس لها إلا حد واحد واضح بينه الله في قوله تعالى: ((وَلَيْنُ تَرَضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِئْتَهُمْ بِعَدَاةٍ لِّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا تَصِيرُ)) سورة البقرة (120).... قال بن كثير في تفسيره: ((قال ابن جرير: يعني بقوله (1) جل ثناؤه: { وَلَئِنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } وليست اليهود -يا محمد- ولا النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق)).<sup>43</sup>

ولنتقل إلى صورة أخرى من صور البلاء الذي يواجه أهل الإيمان من الغرباء وهي:

محاولة تسليم المحاهدين والدعاة إلى أعدائهم بغرض قتلهم والتكيل بهم:

<sup>43</sup> تفسير ابن كثير - (ج 1 / ص 402)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

و يحدث ذلك اليوم في شتى بقاع الأرض، فكما تعرّض صحابة النبي ﷺ بعد هجرتهم إلى الحبشة لتلك الفتنة على يد وفد قريش - والذي كان يرأسه آنذاك عمرو بن العاص ﷺ قبل إسلامه - وقد نجاهم الله من فتنة التسليم هذه لما اقتنع النجاشي بما قاله جعفر بن أبي طالب ﷺ، ورد النجاشي على وفد قريش هداياهم ورشاوهم خائبين واعتنق الإسلام خفية وأبى عليهم رد المسلمين، في موقف رائع يذكره له التاريخ بحروف من نور. هذا الموقف الذي يجب أن يكون عليه كل مسلم لحديث النبي ﷺ في صحيح البخاري: ((عَنْ بَنِّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)) قال ابن حجر: ((وقوله: " ولا يسلمه " أي لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه)).<sup>44</sup>

فلقد قال النجاشي لرئيس وفد قريش الذي جاء بالهدايا ليسلمهم الصحابة الذين هاجروا

<sup>44</sup> فتح الباري لابن حجر - شرح حديث رقم 2262



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

للحبيشة: (( لا لعمر الله ! لا أردهم حتى أدعوهم فأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جوارى على جوار غيري ..... \_ وقال للمؤمنين بعد أن سمع مقالتهم في دعوة النبي ﷺ وفي مريم وعيسى عليه السلام \_ اذهبوا فأنتم أمنون، من سبكم غرم، فوالله ما أخذ الله الرشوة مني حين رد علي ملكي ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه "، ثم رد على الوفد هداياهم ورشوتهم ))<sup>45</sup>.

وإلى يومنا هذا لم نر مثل هذا الموقف النبيل، حيث نرى المجاهدين الآن بين الحين والآخر وهم يُسلمون من كل بقاع الدنيا إلى أعدائهم قرابين لطواغيت بلادهم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

### الحصار والمطاردة كشكل من أشكال البلاء:

وهذا الصنف من البلاء ما زال يمارس أيضا على الجماعات المجاهدة، حاليا فالمطاردة في داخل البلاد وخارجها وفي المواصلات والطائرات مستمرة، وعندهم خطة وبرنامج يسمونه "تجفيف المنابع" أي قطع كل طرق وأساليب إمداد أهل الإيمان بما يحتاجونه طنا منهم أن ذلك سيعطل جهادهم ضد هؤلاء الطواغيت.

<sup>45</sup> السيرة النبوية لابن كثير - (ج 2 / ص 18)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

ولقد استخدم الأعداء أسلوب الحصار والمطاردة ضد إمارة أفغانستان الإسلامية ومن هاجر إليها من أهل الإيمان الغرباء لما أوتهم وقامت بإنفاذ شريعة الله على أرضها فحوصرت حصارا اقتصاديا، جائرا فمنعوا التجارة بكافة أنواعها عنها حيث منعوا وصول الدواء والغذاء والبضائع الأخرى، كما منعوا وسائل النقل الجوي وأوقفوها منها وإليها، كما فرضوا عليها حصارا سياسيا فمنعوا الدول الأخرى من الاعتراف بها والتعامل معها كدولة وكحكومة، كل ذلك بقرارات من الأمم المتحدة، ولقد رضخت حكومات بلاد المسلمين في كل مكان لقرارات تلك المنظمة لأنها أعضاء فيها تحكمهم قوانينها فالولاء والبراء والإذعان لقرارات تلك المنظمة ليس لله أو لعقيدة الإسلام شيئا فيها، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ونذكر هنا أيضا أن الحصار والمقاطعة مورسا على النبي ﷺ وصحابته الكرام:

يذكر المباركفوري ذلك فيقول: "اجتمعوا في خيف بني كنانة من وادي المحصب فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق، "أن لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا النبي ﷺ للقتل"... ثم يستدرِك في فقرة أخرى فيقول: "واشدت الحصار وقطعت عنهم الميرة والمادة فلم يكن المشركون يتركون طعاما يدخل مكة ولا يبعوا إلا بادره فاشتروه، حتى بلغهم الجهد والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع.<sup>46</sup>

غير أن الفرق بين الحصار القديم والحصار الجديد هو أن المجتمع الجاهلي القديم كان ما زال فيه بعض صفات المروءة فقد قامت مجموعة ممن كانوا على الشرك وعبادة الأوثان وتعاهدوا على فك هذا الحصار الجائر وسعوا في ذلك كما يذكر أهل السير والتاريخ.

يذكر ذلك بن كثير فيقول: (( تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال سواهم من قريش ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق واجتمع أمرهم على نقض ما تعاهدت عليه قريش في هذه الصحيفة من الظلم والبراءة منه، حتى مدحهم أبو طالب في قصيدة مشهورة

<sup>46</sup> الرحيق المختوم، ص: 110، 109.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

له)) 47.

فلم يفعل أهل الجاهلية الحديثة مثل ما فعله  
أهل الجاهلية القديمة !!  
أما عن حصار الخندق فيذكر صاحب الرحيق أنه  
حين حفر الخندق والمشركون في طريقهم  
لمدينة النبي ﷺ قال: (( كان المسلمون يعملون  
بهذا النشاط وهم يقاسون من شدة الجوع ما  
يفتت الأكباد، قال أنس: كان أهل الخندق يؤتون  
بملاء كف من الشعير فيصنع لهم بإهالة  
سنة<sup>(48)</sup> توضع بين يدي القوم، والقوم جياع  
وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن، وقال أبو  
طلحة: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع فرفعنا  
عن بطوننا حجرا حجرا، فرفع رسول الله ﷺ عن  
حجرين<sup>49</sup>.

ويستمر المباركفوري رحمه الله فيقول: "ولما  
أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام  
المدينة وجدوا خندقا عريضا يحول بينهم وبينها

---

<sup>47</sup> راجع قصة المقاطعة ونقض الصحيفة في البداية والنهاية لابن

كثير ج 3 ص: 81 - 83.

<sup>48</sup> الإهالة: الدهن الذي يؤتمد به سواء كان زيتا أو سمنا أو شحما،

وسنخه: أي تغير طعمها ولونها من قدمها

<sup>49</sup> الرحيق المختوم، ص: 304.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

فالتجأوا إلى فرض الحصار على المسلمين.<sup>50</sup> ومن هنا نرى أن الحصار على أهل الإيمان ولمن أوأهم هو أحد الطرق والأساليب التي اتبعها أعداءهم ضدهم في كل زمان.

\*\*\*\*\*

### الفصل الرابع

البلاء سنة ربانية ملازمة لأهل الحق الغرباء ودليل على صحة المسير في مواجهة الباطل، مع ضرورة العلم بطبيعة الطريق ووعورته

ما زلنا في حديثنا الطويل عن أهل الإيمان الغرباء في مواجهة الجاهلية، أهل الخير والرشاد والصدق والوفاء بعهد الله الأبرار الذين أخلصوا لله دينهم.

- وإذا استعرضنا بعض أحاديث النبي ﷺ تبين لنا من خلالها أن البلاء سنة ربانية لأهل الحق من الأنبياء والصالحين على مر العصور والدعوات ودليل على صحة مسيرتهم في مواجهة الباطل لأن الحق والباطل لا يجتمعان ولا يلتقيان إذ لا بد أن يزيح أحدهما الآخر، لا كما يدعي بعض الجهال

<sup>50</sup> المصدر السابق، ص: 306

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

فيقولون إن البلاء والتمحيص دلالة على الخطأ في التصور ولو كانوا على الجادة ما ابتلاهم الله بمثل هذه الابتلاءات, فيظنون بجهلهم أن الحق مع من يسقيهم السم من علماء السوء الذين عاشوا جنبا إلى جنب في ظل طواغيت يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف بل وعلاقتهم مع هؤلاء الطواغيت تحفها المحبة ويكسوها الود فيعقد عليهم هؤلاء الطواغيت من بقايا فئات موأندهم ويوسعون لهم في المساجد ووسائل الدعاية والإعلام فيلقون الدروس ويطبعون ما شاءوا من كتبهم ويفتحون لهم أبواب الجامعات والمعاهد فيلقون المحاضرات, يعيشون بين يدي الطاغوت في ترف بين القصور الوسيعة والسيارات الفارهة, كل ذلك يدفعون ضريبته من دينهم وعقيدتهم فهم في ذلك إما محسنين لدين الطاغوت أو محاربين لأهل الإيمان ومنهجهم, وأحسنهم حالا ساكت على الباطل لا يقف في وجهه ولا يعلن عداوته للطاغوت وبراءته منه ولا محبته لأهل الحق وولائه لهم, فمن كان هذا حاله فليراجع دينه, فما كان هذا حال الصحابة ولا الصالحين من أمة محمد ﷺ, فتأمل:

فعن أبي عبد الله خباب بن الأرت ﷺ قال:

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

((شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فَيَمُنُ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهِ قَبِيحًا بِالْمَنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُتَبَقُّ بِأَنْتَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهُ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنَ صَبْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذَّنْبَ عَلَى عَتَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ.<sup>51</sup>

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه يقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (( {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }:

<sup>51</sup> صحيح البخاري - برقم 3343

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

"..... يتوجه إليهم بأن هذه هي سنة الله القديمة في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة وليكونوا لها أهلاً أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم والشدة والضر وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم لم تزعزعهم شدة ولم ترهبهم قوة ولم يهنوا تحت مطارق المحنة والفتنة استحقوا نصر الله لأنهم يومئذ أمناء على دين الله"..... ثم يستكمل فيقول: " هكذا خاطب الله الجماعة المسلمة الأولى، هكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها وإلى سنته سبحانه في تربية عباده المختارين الذي يكل إليهم رأيه وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته وهو خطاب مطرد لكل من يختار لهذا الدور العظيم، وإنها لتجربة عميقة جليلة مرهوبة، إن هذا السؤال من الرسول والذين آمنوا معه، من الرسول الموصول بالله والمؤمنين الذين آمنوا بالله إن سؤالهم {متى نصر الله} ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة، وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة عندئذ تتم كلمة الله ويحى النصر من الله {ألا إن نصر الله قريب} إنه مدخر لمن



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

يستحقونه ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية الذين يثبتون على البأساء والضراء الذين يصمدون على الزلزلة، وبهذا يدخل المؤمنون الجنة مستحقين لها جديرين لها بعد الجهاد والامتحان والصبر والثبات والتجرد لله وحده”)).<sup>52</sup> هـ

ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لنفس الآية السابقة: (( يقول تعالى { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة } قبل أن تبتلوا وتختبروا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم ولهذا قال { لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء } وهي الأمراض والسقام والآلام والمصائب والنوائب، قال ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومجاهد وسعيد ابن جبير وغيرهم { البأساء } الفقر، { والضراء } السقم { وزلزلوا } خوفوا من الأعداء زلزلاً شديداً وامتحنوا امتحاناً عظيماً)).. وقال الله تعالى { ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }، وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم في يوم الأحزاب كما قال الله تعالى

<sup>52</sup> في ظلال القرآن - تفسير آية 214 من سورة البقرة.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

{ إذ جاء وكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ  
زأغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون  
بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا  
زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذين في  
قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا {  
الآيات، ولما سأل هرقل أبا سفيان هل  
قانتلتموه؟ قال: نعم، قال: فكيف كانت الحرب  
بينكم؟ فقال: سجلا يدال علينا ونдал عليه،  
قال: كذلك الرسل تبلى ثم تكون لها العاقبة،  
وقوله { مثل الذي خلوا من قبلكم } أي سنتهم  
كما قال تعالى { فأهلكنا أشد منهم بطشا  
ومضى مثل الأولين } وقوله { وزلزلوا حتى  
يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله {  
أي يستفتحون على أعدائهم ويدعون بقرب  
الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة.. قال  
الله تعالى { ألا إن نصر الله قريب } كما قال  
{ فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا } وكما  
تكون الشدة ينزل من الفرج مثلها ولهذا قال  
{ ألا إن نصر الله قريب } وفي حديث أبي رزين  
(عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثة فينظر  
إليهم قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجهم  
قريب)).. اهـ<sup>53</sup>

<sup>53</sup> تفسير ابن كثير - (ج 1 / ص 572)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

قال شهاب الدين الألوسي رحمه الله في قوله تعالى: (( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرَزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ )) .  
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات «  
وأخرج الحاكم وصححه عن أبي مالك قال : «  
قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى ليحرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يحرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز فذلك الذي نجاه الله تعالى من السيئات ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذلك الذي قد افتتن )) .<sup>54</sup> اهـ

إن كثيراً من أصحاب الدعوة إلى الله يجهلون طبيعة هذا الطريق ويجهلون طبيعة هذا الدين ووعورة مسالكه ويظنون الابتلاء إنما هو نتيجة أخطاء وحسب ولذلك فهم يعمدون إلى اتخاذ سبل ووسائل أخرى غير مشروعة إما ظناً منهم أنها أفضل من طريق الابتلاء أو لعدم قدرتهم على متابعة المسير مع ضخامة وشدة البلاء فيضلوا ويضلوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

<sup>54</sup> تفسير روح المعاني للألوسي في تفسير الآية 214 من سورة البقرة.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

وبعدما علمنا أن البلاء سنة ملازمة لأهل الحق، نتقل الآن لنثبت أن البلاء دلالة خير للمجاهدين والدعاة لأن عظم الجزاء مع عظم البلاء.

البلاء دليل على صحة السير في طريق الدعوة إلى الله :

روى الترمذي في الحديث الصحيح: **عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ** <sup>55</sup>.

وروى البخاري عن أبي هريرة **قال** :: **قال رسول الله ﷺ مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ** <sup>56</sup>.

وعن أبي هريرة **قال** :: **(( قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يَرَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ حَاطِيَةٌ ))** <sup>57</sup>.

ثم انظر إلى ما قاله بن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى {ولنبلونكم حتى نعلم

<sup>55</sup> رواه الترمذي في سننه - برقم 2320

<sup>56</sup> صحيح البخاري - (5213)

<sup>57</sup> رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم { قال: (( يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ { ونبلونكم } أيها المؤمنون بالقتل وجهاد أعداء الله { حتى نعلم المجاهدين منكم } يقول يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم وأهل الصبر على قتال أعدائه فيظهر ذلك لهم ويعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشك والحيرة فيه وأهل الإيمان من أهل النفاق ونبلوا أخباركم فنعرف الصادق منكم من الكاذب، ونقل عن ابن عباس قوله: { حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين } وقوله { ونبلونكم بشيء من الخوف والجوع } ونحو هذا قال: أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأمرهم بالصبر وبشرهم فقال { وبشر الصابرين } ثم أخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم فقال { مستهم البأساء والضراء وزلزلوا } فالبأساء الفقر والضراء السقم وزلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم))<sup>58</sup> أهـ

ومما يدل أيضا على أن البلاء دليل على صحة السير في طريق الدعوة إلى ربهم ما قاله

<sup>58</sup> جامع البيان للطبري في تفسير هذه الآية.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

الأستاذ سيد قطب في الضلال تفسيراً لقوله تعالى { ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب } يقول: (( وهكذا يتكشف أن الابتلاء من الله نعمة لا يصيب إلا من يريد له الله به الخير فإذا أصابت أولياءه وإنما تصيبهم لخير يريد الله لهم ولو وقع الابتلاء مترتباً على تصرفات هؤلاء الأولياء فهناك الحكمة المغيبة والتدبير اللطيف وفضل الله على أوليائه المؤمنين...." و "ليس من مقتضى إلهيته سبحانه وليس من فعل سننه أن يدع الصف المسلم مختلطاً غير مميز يتواري المنافقون فيه وراء دعوى الإيمان ومظهر الإسلام بينما قلوبهم خاوية من بشاشة الإيمان ومن روح الإسلام، وكل هذا يقتضي أن يصهر الصف ليخرج منه الخبيث وأن يضغط لتتهاوى اللبنة الضعيفة وأن تسلط عليه الأضواء لتتكشف الدخائل والضمائر ومن ثم كان شأن الله سبحانه أن يميز الخبيث من الطيب)).<sup>59</sup> اهـ

وحيثما ظهر للقاصي والداني والجاهل والعالم وكل ذي لب أنه لا طريق ولا سبيل لنصرة دين الله ورضوانه إلا هذا الطريق الوعر،

<sup>59</sup> في ضلال القرآن - آل عمران 179

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

طريق الجهاد والابتلاء لأنها سنة الله في أنبيائه  
وتابعيهم، ونحن نرى الجبناء الذين قننوا وتغننوا  
في أساليب وسبل صاغوها في قوالب شرعية  
حتى تكون مستساعة لدى العامة و الجهال حتى  
يبرروا جبنهم وتخادلهم ويذكرنا ذلك بقول  
الشاعر الذي يفضح دواخلهم فيقول:

يرى الجبناء أن الجبن عقل..... وتلك  
خدعة الطبع اللئيم

فقاموا يصفون أهل الحق \_ الذين يواجهون  
الجاهلية بكل عددها وعدتها \_ مرة بالمتهورين  
ومرة بالمتدعة وأخرى بالإرهابيين وأثروا أن  
يعيشوا في أحضان الطواغيت وتبعيتهم على أن  
يقفوا في الصف مع أهل الإيمان الذين قاموا  
وهاجروا لله وجاهدوا في الله وتركوا كل متاع  
الدنيا إرضاء لربهم، وفصل أولئك القعود خلف  
أقلامهم المسمومة وأبواقهم الكاذبة، وأثروا  
الذل والهوان، حتى أن بعضهم أجاب عندما سأله  
بعض الشباب المجاهد: لماذا لا تقومون بواجب  
الجهاد في سبيل الله والكل يرى حرمة الله  
كلها قد انتهكت بدلا من مسالك ومناهات  
الديمقراطية؟، فأجابه: الديمقراطية.... أم  
عشرون سنة قتال أفضل!!!.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

ذل من يغبط الذليل بعيش.....رب عيش  
أعز منه الحمام

لا بل العمر كله جهاد ولا مقارنة بينه وبين  
الديمقراطية فقد علمنا رسول الله ﷺ الطريق  
حتى في أشد وأحلك الظروف ضعفاً للمسلمين  
فقد ذكر ابن هشام:

(( لما اجتمع رؤساء قريش بالنبي ﷺ قالوا له:  
إنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على  
العرب مثلما أدخلت على قومك، إذ شتمت الآباء  
وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام  
وفرقت الجماعة فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته  
فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا  
الحديث تطلب به ما لا جمعنا لك من أموالنا حتى  
تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف  
فينا فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد به ملكاً  
ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه  
قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب  
لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك، فقال لهم  
رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئت بما  
جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا  
الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا  
وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن  
تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا  
والآخرة وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى  
يحكم الله بيني وبينكم))<sup>60</sup> اهـ

### الخطوط الحمراء التي لا ينبغي تجاوزها:

إن هذه المقابلة التي حدثت بين النبي ﷺ من  
جانب وصناديد قريش من جانب آخر في وقت  
كانت الدعوة في مهدها والضعف هو السمة  
الأولى لأهلها مع شدة الغربة وقلة النصير وتبجح  
الباطل وأهله قد رسمت الطريق الصحيح  
ووضعت الخطوط العريضة لأسلوب الدعوة،  
والتي لا ينبغي للقائمين عليها أن يتجاوزوها.  
نوجز أهمها فيما يلي:

### أولاً- عدم تقديم تنازلات على حساب العقيدة:

أن الداعية مع حرصه على إيصال دعوته  
ونشرها ورجائه أن يهدي الله به خلقه فإن هذا لا  
يعني تقديم تنازلات لا قليلة ولا كثيرة لهم،...  
حيث يظهر هذا من أول وهلة عندما لبى النبي ﷺ  
دعوة صنناديد قريش بلقائهم ومقابلتهم في  
البداية، ثم بانتهاء المقابلة دون أن ينالوا شيئاً

<sup>60</sup> تهذيب سيرة بن هشام ص 65، 66 طبعة مؤسسة الرسالة.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

ولو يسيراً لصالح باطلهم في النهاية، بل قوبل عرضهم الذي عرضوه على النبي ﷺ بالرفض وبكل ثبات وعزيمة منه ﷺ، فإما أن يقبلوا ما جاءهم به من الحق ولهم الحسنَى وإما أن يردوه عليه مع صبره على أمر الله دون تفريط مع ما سيلاقيه في سبيل ذلك الثبات من عنت ومشقة إذ لا بديل عنده ﷺ عن الحق الذي لا يتجزأ ولا تنازل فالموقف واضح وواحد.

ثانياً- بيان الحق وتعرية الباطل لا ينفك أحدهما عن الآخر:

أن الداعية إلى الله يسير في مسارين متلازمين في طريق دعوته:

المسار الأول: بيان الحق من الدعوة إلى التوحيد والتعريف بأحكام الدين وتقوى الله وعبادته وكل ما أقره الشرع وعرفه بأنه " المعروف " .

المسار الثاني: تعرية الباطل وفضحه والتعريف بأساليبه وكيده وقد علم ذلك صناديد قريش عندما ذكروا للنبي ﷺ أنه قد شتم الآباء وعاب دينهم وسب آلهتهم وسفه أحلامهم وغير ذلك مما أنكره الشرع وفضحه وبينه على أنه " المنكر " .

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

وهذه المبادئ لا تجد لها مكاناً عند القائمين بالدعوة اليوم.. فكيف تدلون الناس على طريق الحق وتتركون لهم طريق الضلالة مبهماً يغوصون فيه؟! كيف تعلمون الناس كلاماً نظرياً وتخشون إنزاله على الواقع؟! أو ما علمتم أن الإسلام هو منهج حياة؟! وهم في ذلك ينسون أو يتناسون مدلول آيات الله سبحانه {وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين}، وقوله سبحانه وتعالى {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين}.

إذ أن كثيراً منهم يؤثرون السلامة لأنفسهم فيفسرون في المسار الأول من بيان للحق ويضربون صفحا عن الجانب الآخر وهو بيان الباطل وفضحه، فنجد بعضهم مثلاً يتكلم كثيراً عن عبادة الله تعالى ولا يتكلم عن عبادة غيره سبحانه تلك العبادة الباطلة، ثم إذا تطرق إلى ذلك تكلم في عبادة الأموات والأشجار والأحجار ولم يتكلم عن عبادة الأحياء الذين جعلوا أنفسهم أندادا لله في ربوبيته وألوهيته وحكمه.

أو إذا تكلم عن الإيمان بالله لم يتكلم عن الكفر بالطاغوت، أو إذا تكلم عن الطاغوت

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

وضرورة مجاهدته فليكن هو نجيب الله حاكم أفغانستان السابق دون مبارك وفهد والأسد وعلاوي والجعفري!!!، مع أن نجيب رغم كفره الواضح كان أقلهم فساداً في الأرض، فلا ندري أي أدلة استدلوها بها على كفر الأخير وضرورة الخروج عليه ومجاهدته لم تتوفر فيمن ذكروا قبله وأشباههم، أو أنهم تجرؤوا فأفتى بعضهم بضرورة خروج اليهود من فلسطين وخروج الأمريكان من العراق وجزيرة العرب ولم يبينوا لنا كيف يكون خروجهم، مع أن الذي أتى بهم وبارك دخولهم ووافق على معاهدات الاستسلام لهم والتي تقتضي الإقرار باحتلالهم مقدسات وأراضي المسلمين هو نفسه الذي يدعون له بالسداد والتوفيق\_ ويسمونه ولي الأمر، أو خادم الحرمين، أو ما يلقب به هؤلاء الطواغيت ظلما وزورا\_ وبمعونة علماء الضلالة الذين أفتوا لهم بما أرادوا لا بما يرضي الله، فله در عبد الله بن المبارك إذ يقول:

وهل أفسد الدين إلا الملوك..... وأخبار  
سوء ورهبانها  
لقد رتع القوم في جيفة..... يبين لذي  
اللب أنتانها

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

يقول الأوزاعي رحمه الله: شكت النواويس - والنواويس أي مقابر النصارى - إلى الله من نتن جثث الكفار فأوحى الله إليها أن بطون علماء السوء أشد نتناً من هذا.

ولو أن أهل العلم صانوه لصانهم.....ولو  
عظموه في النفوس لعظما  
ولكن أهانوه فهان ودنسوا..... محيَّاه  
بالأطماع حتى تجهما

### ثالثا- الغاية لا تبرر الوسيلة:

أن الغاية في دين الإسلام لا تبرر الوسيلة فإذا كانت الغاية شريفة فلا بد أن تكون الوسيلة كذلك, فنحن لا نعبد الله بمعصيته فالنبي ﷺ لم يوافق كفار قريش على استلام السلطة عندما عرضوها عليه فقالوا: (وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا), بالرغم من أن الدعوة كانت في مهدها والضعف هو السمة الأولى لأهلها, فلو كان أحد مكانه ﷺ لقال " إن هذه فرصة أستولي بها على السلطة" أو إن هذا طريق سهل لانتصار دعوتي بدلا من الحرب والدماء كمن اتخذ الديمقراطية سبيلا له أو أنها فرصة للجلوس معهم والتفاوض في هذه المشكلة لإيجاد حلول ترضي الطرفين... لقد رفض النبي كل هذه

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

الحلول لأسباب كثيرة أهمها:

1. أن هذا الطريق ليس هو الطريق الذي رسمه الله تعالى لقيام هذا الدين ونشر هذه الدعوة.
2. أن هذا الموقف هو البداية لعلاقات ودية تخلط الصف المؤمن بالصف الكافر (أو ما يسمى بتطبيع العلاقات) لإزالة البغضاء من نفوس المؤمنين تجاه الكفار وتليبس الحق بالباطل ومحاولة تميع القضايا لالتقائهم في منتصف الطريق, مما يحدث صداماً و تناقضا مع أصول ونصوص شرعية منها قوله تعالى (( لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ )) سورة المجادلة... وقوله تعالى (( قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ, لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ, وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد, وَلَا أَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ, وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد, لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ )) سورة الكافرون... وقوله تعالى (( لَوْ تَرَى لَوْ لَعَدَّتْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا )) سورة الفتح... وكثير من الأدلة التي لا مكان لسردها كلها في هذا المقام.
3. أن الحق كل لا يتجزأ فلو قبلوه كله فقد

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

فازوار، وإلا فلا بديل سوى الصبر وما كان بعدها من إزالة هذه الفتنة بالطريق الشرعي الذي افترضه الله تعالى على عباده المؤمنين في قوله تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)) سورة الأنفال.

ضرورة العلم بطبيعة ووعورة الطريق لبناء المجتمع المسلم :

لن يستطيع أحد من غير أهل الإيمان الصبر على الجوع والفقر والخوف والقتل والتشريد والحصار ونقص الأموال والأنفس والثمرات إن لم يكن عنده الوازع العقدي الصلب الذي يضحى من أجله بكل شيء، بنفسه، وماله، وولده، وهذه الحقيقة غائبة عن بعض المؤمنين من حملة هذه الأمانة، ولقد ضرب أمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد أروع الأمثلة على ثبات المؤمنين الصادقين الذين يعيشون مع إخوانهم الأمهم وأمالهم، إنها العقيدة وليس غيرها تلك التي جعلت هذا الأمير المجاهد يرد على طلب أمريكا وحلفائها بتسليم المجاهدين العرب بقوله: "لن يسلم الشعب الأفغاني إخوانهم العرب ولو قتل كل الأفغان".

إن بلاء الله موجه لهذه الفئة بالذات فإن كانت أملك لأمرها على أرضها فيها ونعمت وإلا

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

فلتجاهد وتصبر حتى يفتح الله عليها، ولا يغتروا بكلام ووعود غيرهم وليعطوا كل شئ حقه في حساباتهم حتى لا يصدموا بأحداث مفاجئة بناء على حسابات خاطئة، ولن يقف لهم غيرهم خلف خندقهم ويزود عنهم ليتحمل لهم نتاج إيمانهم بالله أو ليحني لهم الثواب والأجر نيابة عنهم، إنهم هم وليس غيرهم أصحاب العقيدة والهدف الواحد الذين يتحملون المشقة ويربطون على بطونهم حجرا في سبيل هذا الدين وبناء دولة الإسلام وهم أيضا الذين سيجنون ثمار هذه المشقة من ثواب الله تعالى لذا يجب عليهم أن يسعوا قدر طاقتهم لتحقيق هذا الهدف.

فنظرة سريعة على أحداث سيرة المصطفى ﷺ يتضح لنا صحة ذلك فقد عرض نفسه ﷺ على القبائل في مواسم الحج فأبوا أن يؤمنوا به وخرج ﷺ إلى أهل الطائف فأدموا قدميه الشريفتين بالحجارة، وحاربه قومه في دعوته،.. وقد تواجه البعض شبهة فيقول: كيف تربط بين العقيدة والتضحية إلى هذا الحد الذي تعجز معه كل الروابط الأخرى \_ دون العقيدة \_ في أن تكون بديلا عنها في مواجهة عواصف الابتلاءات والمحن وقد كان أبو طالب عم النبي ﷺ من أكبر



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

مناصره وليس على دينه ؟

والإجابة: أنه نظرا لأن أبا طالب لم يكن على دينه فقد كانت نصرته له لها وجهة جاهلية قومية وليست إيمانية عقدية، فهو ينصره فقط لأنه ابن أخيه وقد كان لصبره معه حدود، وفي ذلك يذكر المباركفوري فيقول:

((عظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد \_ أي من وفد قريش له \_ فبعث إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأبق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق)).<sup>61</sup>

وكان على النقيض من ذلك نجاشي الحبشة الذي أسلم مؤخرا ولم يكن من أهله ولا من عشيرته بل ولا عربيا وبالرغم من ذلك دفعته عقيدته وإيمانه للتضحية والوقوف في وجه قومه، فلولا أنه اعتنق الإسلام ما صبر على هذا الإيذاء.

وما كان النبي ﷺ ليهاجر إلى المدينة ويستمر بقية حياته فيها ويصبر أهلها على البلاء لولا أن منّ الله عليهم بالإسلام وبعد البيعة الثانية بعد أن فهم أهل البيعة مدى التكاليف والمشاق التي سيتحملونها، وبعد أن أصبحوا هم بأنفسهم من

<sup>61</sup> المصدر السابق، ص: 97

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

أصحاب هذه الدعوة لذلك هان عليهم كل غال ونفيس لأنهم يعلمون أنها تجارة مع ربهم فهم منه - يعني النبي ﷺ - وهو منهم, لم يأتهم ضيفا أو لمجرد الحماية فقط, فبعد أن تلا عليهم رسول الله ﷺ بنود البيعة ووافقوا على ذلك :

((قام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: "بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم" ... ثم استطرد قائلا: لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري: هل تدرون علام تباعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرفكم قتلا سلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على هلكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

وفينا بذلك؟، قال: الجنة، قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه))<sup>62</sup>.

وفي رواية جابر قال: فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو أصغر السبعين - فقال رويدا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وإن إخراجنا اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصيرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله، فقالوا يا أسعد أمط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها.

والحقيقة كما ذكر فإن هذه الدعوة لن يقبلها سوى أصحابها الذين لا يرون نصب أعينهم سوى عقيدتهم ومصالحة دينهم وبالفعل لقد حارب الأنصار ١ الأسود والأحمر من الناس من مشركي العرب والمرتدين والفرس والروم ولقد أنهكت أموالهم وقتل أشرفهم وهم أيضا بأنفسهم الذين اشتروا من الله الجنة بما دفعوه .. ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة.

ونستخلص مما ذكرنا دروسا هامة أثناء المسير

<sup>62</sup> سيرة ابن هشام، ج1/446.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

منها:

- 1- تعريف أهل الإيمان بطبيعة طريقهم, فانظروا أيها الأخوة إلى أي حد كان أجدادكم الأول يعلمون مدى مشقة هذا الطريق من خلال الروايات المتعددة المذكورة.
- 2- تشابه طبيعة طريق غرباء آخر الزمان مع مسلك النبي ﷺ وصحابته أهل الغربة الأولى.
- 3- دور العقيدة كحصن للفرد والجماعة وأهمية فهمها والعمل بها.
- 4- أهمية الجانب الدعوي في المجتمع المحيط بالمجاهدين وأن أولى الناس بدعوتهم هم إخوانهم المسلمون الأقربين والمجاورين لهم والمتفاعلون معهم في قضاياهم خاصة من يجهل منهم أصول هذا الدين أو جوانب العقيدة.
- 5- بيان أهمية إيجاد الأرض الصلبة التي تلزمهم للانطلاق لنشر دعوتهم والأسس والمبادئ التي تحكم أسلوب تعاملهم مع المجتمع المحيط بهم, وبيان أهمية التفاعل بالمجتمع المحيط وضرورة تأثير أهل الإيمان فيه أخذاً وعطاءً لأن تلك المجتمعات ليست فقط منبع من منابع الثروات الهامة سواء بشرباً أو اقتصادياً بل الأهم من ذلك كله تربية الجيل الذي يحمل إرث

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

الغرباء, المنافع عن هذا الدين حتى يصبغ بنفس الصبغة الشرعية التي تكفي لنقول لهم مثل ما قال النبي ﷺ للأنصار ".... أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم", ... وحينها لا نبالي إن بقينا أو فنينا أو رحلنا, فإن خلفنا من سيحمل عبء هذه الدعوة لا يقبل ولا يستقيل, ولا يمل, بل سيتحمل البلاء راضيا محتسبا فرحا باختيار الله له بحمل عبء ومشاق أئمن أمانة في هذا الوجود أمانة لا إله إلا الله.

\*\*\*\*\*

### الفصل الخامس

#### البشرى والجزاء الذي أعده الله لأهل الإيمان

##### الغرباء

إن الشرف الأكبر والوسام الذي لا يقارن بغيره لهؤلاء الغرباء في الدنيا هو شرف اختيار الله لهم لحمل أمانة لا إله إلا الله, أما ما ادخره الله لهم عنده من أجر في الآخرة فنذكر طرفا منه: أولا: بشرى الله لهم بالجنة والعبطة والسرور: قال النووي في قوله ﷺ: (بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا)

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

قال: " وَأَمَّا مَعْنَى ( طُوبَى ) فَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: { طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ } فَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ مَعْنَاهُ فَرَحٌ وَفَرَّةٌ عَيْنٌ. وَقَالَ عِكْرَمَةَ: نِعْمَ مَا لَهُمْ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: غِبْطَةٌ لَهُمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ: حُسْنَى لَهُمْ. وَعَنْ قَتَادَةَ أَيْضًا مَعْنَاهُ أَصَابُوا خَيْرًا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَيْرٌ لَهُمْ وَكَرَامَةٌ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: دَوَامُ الْخَيْرِ. وَقِيلَ: الْجَنَّةُ. وَقِيلَ: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُحْتَمَلَةٌ فِي الْحَدِيثِ. (وَاللَّهُ أَعْلَمُ))<sup>63</sup>

ذكر الإمام أحمد في مسنده: ((عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُوفٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: ((كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ نُورُهُمْ كَنُورِ الشَّمْسِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَتَحْنُ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَا وَلَكُم خَيْرٌ كَثِيرٌ وَلَكِنَّهُمْ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ يُحْسِرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَقَالَ طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ فَقِيلَ مَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَا سَائِسُ صَالِحُونَ فِي نَاسٍ سَوْءٍ كَثِيرٍ مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ))<sup>64</sup>.

<sup>63</sup> شرح النووي على مسلم - شرح حديث رقم 208  
<sup>64</sup> مسند أحمد - حديث رقم 6775, وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم 3188

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

قال الهروي أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا  
أوطانهم إلى الله))<sup>65</sup>

ثانيا: قريهم من النبي ﷺ ومحبيه لهم:

قال ابن حجر في الفتح: (( وَرَوَى أَحْمَدُ وَالِدَارِمِيُّ  
وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي جُمُعَةَ قَالَ : " قَالَ أَبُو  
عُبَيْدَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَأَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا ؟ أَسَلَمْنَا  
مَعَكَ ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ . قَالَ : قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ  
بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي " وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ  
وَقَدْ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ . وَاحْتَجَّ بِأَنَّ السَّبَبَ فِي كَوْنِ  
الْقُرْنِ الْأَوَّلِ خَيْرَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ كَانُوا عَرَبَاءَ فِي  
إِيمَانِهِمْ لِكَثْرَةِ الْكُفَّارِ حَيْثُ وَصَّيْرَهُمْ عَلَى أَدَاهُمْ  
وَتَمَسُّكِهِمْ بِدِينِهِمْ ، قَالَ : فَكَذَلِكَ أَوَاخِرُهُمْ إِذَا  
أَقَامُوا الدِّينَ وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَصَبَّرُوا عَلَى الطَّاعَةِ  
حِينَ طُهِرَ الْمَعَاصِي وَالْفِتْنِ كَانُوا أَيْضًا عِنْدَ ذَلِكَ  
عَرَبَاءَ ، وَرَكَتُ أَعْمَالِهِمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَمَا  
رَكَتُ أَعْمَالُ أَوْلِيَاكَ ))<sup>66</sup>.

ثالثا: إكرام الله لهم بالرؤيا الصالحة:

قال ابن حجر: (( قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ : مَعْنَى كَوْنِ  
رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ تَكْذِبُ أَنَّهَا  
تَقَعُ غَالِبًا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَغْيِيرٍ فَلَا

<sup>65</sup> الديباج على مسلم لجلال الدين السيوطي - (ج 1 / ص 164

<sup>66</sup> فتح الباري لابن حجر - شرح حديث رقم 3377

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

يَدْخُلُهَا الْكُذِبُ ، بِخِلَافِ مَا قَبِلَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا قَدْ  
يَحْفَى تَأْوِيلُهَا فَيَعْبُرُهَا الْعَابِرُ فَلَا تَقَعُ كَمَا قَالَ  
فَيَصْدُقُ دُخُولُ الْكُذِبِ فِيهَا بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ ، قَالَ :  
وَالْحِكْمَةُ فِي إِخْتِصَاصِ ذَلِكَ بِأَجْرِ الرَّمَانِ أَنَّ  
الْمُؤْمِنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَكُونُ غَرِيبًا كَمَا فِي  
الْحَدِيثِ " بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا "  
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، فَقِيلَ أَيْسَ الْمُؤْمِنِ وَمُعِينِهِ فِي  
ذَلِكَ الْوَقْتِ فَيُكْرَمُ بِالرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ . ((<sup>67</sup>أهـ  
نصحتني للغرباء:

أود أن أسجل هنا نصيحة للغرباء القادة  
والمسؤولين على كل جبهات الجهاد والدعوة  
تأصيلا على ما فهمناه من سنة النبي ﷺ وإضافة  
إلى مثله مما أشرنا إليه في داخل الكتاب من  
عبر ودروس تعلمناها من قائد المجاهدين وسيد  
المرسلين ﷺ وصحابته الغر الميامين ﷺ أجمعين:  
1- الحذر كل الحذر من أن يستدرجكم أعداؤكم  
للحوار، فالحوار عندهم غاية وليست وسيلة  
حتى تذوب أهدافكم وأمال أمتكم.  
2- وإياكم وعلاقات الود والتقارب من قبل  
بعضكم للطواغيت أو ممثلهم تحت أي  
ذريعة سواء كان علنا أم في الخفاء ولا  
تنسوا قول الأنصار للنبي ﷺ (إن بيننا وبين

<sup>67</sup> فتح الباري لابن حجر - رقم 6499



الرجال حبالا وإنا قاطعوها) فإنها خطة لإحباط العمل والوقية بين الإخوان وتلويت المنهج, فلا اشتراك في ما تسمى حكومات الوحدة الوطنية مع العلمانيين والعملاء وإن تأخر النصر... لسبيين, الأول: أنه لا يوجد مبرر شرعي لذلك. والثاني: أن هذه خطة لنقلكم من مرحلة القوة إلى مرحلة الضعف, ومن مرحلة ثقة الناس بكم إلى مرحلة فقدان هذه الثقة... وتكون على العكس من ذلك مع عدوكم فهي فرصة يعبر فيها من مرحلة انهياره لمرحلة استعادة قوته.

3- وأحذر من أخطر ما يواجه المجاهدين في جهادهم ألا وهو خطر الخلاف الذي ينشئه ويغذيه الأعداء بإشعال الخلافات والدسائس بينهم وذلك عندما تفشل كل أساليبهم الذاتية.. هذا هو الخطر الحقيقي على المجاهدين في كل ساحات الجهاد, وما حدث في بعض بلاد المسلمين خير مثال على ذلك وحل هذه المشكلة يكمن في استحضار نية إخلاص العمل لله, وضرورة الشفافية والوضوح والتنسيق والتواصل المستمر بين المجاهدين حتى يقطعوا

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

أحبال الشيطان, بالإضافة إلى تفعيل أجهزة استخباراتهم لكشف العناصر المندسة لتفتيت الصف من الداخل .  
-4 وإياكم أن تُجروا لما يسمى بالتداول السلمي للسلطة عن طريق الديمقراطية<sup>68</sup> والانتخابات فالغاية لا تبرر الوسيلة في ديننا بل يجب أن تكون الغاية والوسيلة شرعيتين.

-5 وإياكم والملل الذي يجلب فرض سياسة الأمر الواقع\_إن كان هذا الواقع مخالفا لدين الله\_ مهما طال الوقت ومهما تأخر النصر, فالحق هو ما وافق أصول الشرع والدين وليس ما هو كائن بالقوة على الأرض فإن الجهاد واجب شرعي نقوم بتأديته دون ملل ولو على مستوى الفرد, فبالأمس البعيد كان الفرس والروم, وبالأمس القريب كانت روسيا, والآن نحن في مواجهة اليهود والصليبيين, والجهاد ماض إلى يوم القيامة ولن يتوقف الركب, قال تعالى:

( فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلِّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأسِ الَّذِينَ

<sup>68</sup> أنظر كتاب (الديمقراطية في ميزان الإسلام) للمؤلف.

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (النساء: 84).

6- وإياكم أن تغتروا بأنفسكم أو أن ينسب أحدكم الفضل لنفسه مهما علا نجمكم, فإن الفضل كله لله, قال تعالى: { فَلَا تُزَكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم: 32]

7- وعليكم بالصبر فإنه زاد المجاهد, ولتوقنوا أن العدو وإن اعتدي ليحتل قطعة من أمتنا لكنه لا يستطيع الاحتفاظ بها في مواجهة المجاهدين الذين هم شوكة في حلق الأعداء, قال تعالى ( وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ) (آل عمران: 146).

8- وإياكم وتحقيق هدف العدو من فصل قضايا أمتكم على أساس قومي أو جغرافي فقضية العراق وفلسطين وأفغانستان والصومال والجزائر والشيشان وأوزبكستان وتركستان والبوسنة والفلبين والخليج وكل بلاد المسلمين دون تفصيل, كلها قضية واحدة تهم كل مسلم ينتمي لهذا الدين فهوية هذه الأمة هي دين الإسلام, قال

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء:92).

- 9- وإياكم وعلماء السوء الذين يصبغون حكم هؤلاء الطواغيت بالصبغة الشرعية فيوالونهم وينصرونهم ويحسنون لهم القبيح، ويزورون على الناس دينهم، ويكتمون ما أتاهم الله من علم، طلباً للدنيا والرياسة والذين يذلون المصاعب لتسهيل مهمة احتلال اليهود والصليبيين لبلاد المسلمين تحت أي دعوى وأي تأويل، على الرغم من أنه ليس كل تأويل مستساع، فلقد كفر إبليس بتأويل غير مستساع فقال "أنا خير منه"، وإياكم والمثبطين الجبناء الذين يبحثون عن المبرر الشرعي للفعود والتخلف في وقت حاصرتهم فيه الأدلة الشرعية وواقع حال المسلمين بما لا يدع مجالاً للشك في فرضية الجهاد العيني على كل مسلم، ولا مجال هنا لسرد أدلة كثيرة لا يسعها الوقت، فهناك مؤلف آخر لهذا الموضوع أسأل الله أن يعينني في إعداده وتقديمه قريباً بمشيئة الله .
- 10- اعلموا أن موالاتكم هي لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن عدوكم هو الشيطان

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

وأولياءه في أي صورة من صور الشيطان  
وكل صور أوليائه سواء كان أولياؤه من  
اليهود أو النصارى أو الشيوعية أو الرافضة،  
وآه من الرافضة الذين يتظاهرون بالإسلام  
\_ وهم أخطر عليه من اليهود والنصارى \_ ثم  
لا يؤمنون بالكتاب الذي أنزله الله على  
محمد ﷺ ولا يؤمنون بسنته ﷺ، فيقولون: "  
عندنا قرءان غير الذي في أيديكم و سنة  
أخرى غير الذي نقلها أبو بكر وعمر وعثمان  
وعائشة وأبو هريرة وباقي الصحابة  
"فمنكروا القرءان والسنة ومكفروا هؤلاء  
الصحابة ليسوا مسلمين بل هم كفار  
عالمهم وجاهلهم إذ لا يسع أي مسلم ينطق  
بالشهادتين أن يكون هذا معتقده.

والله أسأل أن تعلقو راية الحق والدين، وأن  
ينصر عباده المؤمنين إنه ولي ذلك والقادر عليه،  
قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ  
يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا  
لَهُمْ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ } [ سورة محمد: 7 ، 8 ]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،  
وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

# منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

وسلم.

كتبه :

الفقير

إلى عفوره

عبد المجيد عبد

الماجد

شعبان 1428

الفهرس

رقم

الموضوع

الصفحة

.....المقدمة

1

الفصل الأول

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

معالم الطائفة المنصورة	
4	.....
1	الغرباء هم النزاع من
4	القبائل.....
2	اشتراكهم في الغربة والتمسك بالدين وهدى السلف
5	الصالح.....
3	طائفة غالبية منصوره من شرطها القتال وعدم
6	الزوال.....
4	قوة عزائمهم وصدق نفوسهم ووفائهم بعهدهم
8	.....
	الفصل الثاني
	طبيعة وأوجه الشبه بين الجاهلية التي يواجهونها في كل
12	عصر.....
	بيان القرآن
14	للجاهلية.....
1	حكم الجاهلية.....
14	.....
2	ظن الجاهلية.....
16	.....
3	تبرج الجاهلية.....
19	.....
4	حمية الجاهلية.....
21	.....

## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

### الفصل الثالث

تشابه المؤمنين الغرباء في البلاء الذي يواجهونه، والتجارب  
المستفادة أثناء المسير

.....  
26

· معايشة الغرباء في مجتمعاتهم بالعزلة والنفي  
والتشريد ..... 29

· تربص الكفار من اليهود والنصارى بهم  
..... 32

· محاولة تسليم المجاهدين والدعاة إلى أعدائهم بغرض  
قتلهم والتنكيل بهم

.....  
39

· الحصار والمطاردة كشكل من أشكال البلاء  
..... 41

### الفصل الرابع

البلاء سنة ربانية ملازمة لأهل الحق الغرباء ودليل على  
صحة المسير في مواجهة الباطل وضرورة العلم بطبيعة

الطريق ووعورته ..... 44

البلاء دليل على صحة السير في طريق الدعوة  
إلى الله ..... 49



## منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

- الخطوط الحمراء التي لا ينبغي تجاوزها :  
أولا : عدم تقديم تنازلات على حساب العقيدة  
53 .....
- ثانيا : بيان الحق وتعرية الباطل لا ينفك أحدهما عن  
الآخر ..... 54
- ثالثا : الغاية لا تبرر الوسيلة  
56 .....
- ضرورة العلم بطبيعة ووعورة الطريق لبناء المجتمع  
المسلم ..... 58
- الدروس المستفادة أثناء المسير  
61 .....

### الفصل الخامس

- البشرى والجزاء الذي أعده الله لأهل الإيمان الغرباء  
63 .....
- أولا : بشرى الله لهم بالجنة والغبطة والسرور  
63 .....
- ثانيا : قربهم من النبي ﷺ ومحبته لهم  
64 .....
- ثالثا : إكرام الله لهم بالرؤيا الصالحة  
65 .....
- نصيحتي للغرباء .....
- 65

# منهج الغرباء في مواجهة الجاهلية

---

..... الفهرس  
71

\*\*\*\*\*